Route Educational & Social Science Journal

Volume 6(3) ; February 2019

Artical History

Received/ Geliş	Accepted/ Kabul	Available Online/yayınlanma
5.1.2019	14.2.2019	15.2.2019

الفخر في شعر الأرجاني

Pride in Arganic poetry

د. ذكرى محيي الدين الجبوري

العراق

Thekra Muhe Aldeen Aljeboury

Iraq

الملخص:

يهدف البحث إلى الوقوف عند ابيات الفخر في شعر الأرجاني والموضوعات التي تدور حولها ونقاط الالتقاء والاختلاف مع الفخر في العصور السابقة، التي كانت موضوعاتها حول الفخر بالقبيلة التي ينتسب اليها الشاعر وقومه وأوصافهم وحروبهم ومرؤوسيهم، وفي صدر الاسلام كان يدور الفخر حول أوصاف الرسول (صل الله عليه وسلم) ومكارمه، إما في العصر الاموي فكان الفخر قليلاً نسبياً لما كان عليه في العصرين السابقين وينتمي لهما، إما في العصر العباسي فيبرز الفخر في شعر الشعراء بشكل رائع، ويدور حول انفسهم وشعرهم وبطولاتهم وشجاعتهم، امثال (ابي فراس، والمعري، والشريف الرضي، والمتنبي وشاعرنا موضوع البحث.

الكلمات المفتاحية : الفخر، القاضي ناصح الدين الأرجاني ، الفخر بالذات ، الفخر الاجتماعي ، العصر العباسي .

Summary:

The aim of the research is to stand at the verses of pride in the poetry of Argani and the topics that revolve around them and the points of convergence and differences with pride in previous eras, which was the subject of pride about the tribe that belongs to the poet and his people and descriptions and wars and Marosihm, and in the forefront of Islam was proud about the descriptions of the Prophet And in the Umayyad era, there was relatively little pride for what it was in the two previous eras and belongs to them, either in the Abbasid era, pride in poets' poetry is remarkable, and revolves around themselves and their poetry, heroism and courage, such as Abi Firas, , And Our prophet and poet are the subject of the research.

key words: Pride, Judge Nasih al-Din al-Arjani , Pride itself , Social pride , Abbasid era.

المدخل

عصر الشاعر :

بدأ الضعف يدب في الخلافة العباسية بصورة تشيع الخوف من النتيجة المرعبة، ذلك من خلال الربع الأول من القرن الثالث للهجرة حين أسلم الخلفاء أمر البلاد إلى الغلمان الجهلاء والصبيان المستضعفين الذين أستفحل أمرهم فيما بعد وساعد على هذا الضعف والأنفلات من أطار الحكم الواعي الحذر المقتدر، تدخل الأماء في تيسير الأمور وأدارة دفة الحكم تدخلاً تجاوز حد المعقول فأصبح الخليفة دمية بأيديهم(1)، وأدى ذلك الى تجزئة الدولة العربية الى دويلات صغيرة، وكانت تلك الدويلات تنافس بغداد ثقافياً وعلمياً، فأستضافة العلماء والأدباء والشعراء، وكانت تغدق عليهم العطايا والجوائز، فظهرت مراكز ثقافية وأدبية لامعة، كقرطبة وغرناطة والقاهرة، والقيروان وصقلية وحلب ودمشق والموصل، وظهرت أصبهان ونيسابور والري وجرجان وبخارى وسمر قند، وبقيت اللغة العربية هي لغة العلم والأدب على الرغم من ما وجهته من مكائد ودسائس لمحوها وأستئصالها لكنها دائماً وتتألق على السنة الشعراء وفي أقلام الكتاب،

(1) ينظر: النبراس في تاريخ بني العباس، ابن دحية– نشر عباس العزاوي 44.

ومن أهم أسباب ذيوع الشعر والأدب في هذه المرحلة، تسامح الحاكمين مع معتنقي الديانات الأخرى لقول الشعر فضلاً عن الشعراء العرب، وأن الأسباب والدوافع وراء ذلك كله هو سعي السلطة لتثبيت ملكها وأستقرار كرسيها، لأن الشعراء والأدباء كانوا يمثلون الأعلام لهم، فليس من الغريب أن يظهر ذلك الحاكم أهتمامه بالعربية وأدابها ويستطيبها، ويظهر أعجابه بفنونها وتلذذه بالقول الشعري ويجزل العطاء للشعراء والأدباء، فالأثر الكبير الذي يتركه الشاعر في الناس يطغى على قعقة السيوف ورشق النبال ودوي المدافع ، لذلك نجد أن أسلوب الشعراء في هذا العصر يتباين من شعر الى أخر، لكننا يمكن أن نميز أتجاهين هما :

أسلوب الشعر الرصين عند ملتزمي الشعر العربي التقليدي ومنهم شاعرنا موضع البحث (الإرجاني).

والأساليب المتداعيه الواهية عند الشعراء المجان، فضلاً عن الألفاظ التي كانت تتميز في بعض الأحيان بالسهولة والقوة والفصاحة والركاكة بين شعراء الأمصار .

لكن الشاعر الأرجاني كان بين الشعراء في هذا العصر من ألتزم عمود الشعر العربي التقليدي وحافظ على القصيدة العربية وأن كان أسلوبه يميل ألى البساطة في بعض الأحيان، لكنه لم يخرج عن الأطر العربية فكانت قصائده ذات ألفاظ ومعان تتمسك باللغة العربية وتحافظ على الأرث الثقافي للأمة الذي لم ينسى أن يتغنى دائماً ويفخر بمجده ونسبه وأصله إذ نجد هذه الصور الشعرية لها حضور دائم في قصائدة وأن لم تك في الفخر.

حياته :

هو القاضي ناصح الدين أبو بكر أحمد بن محمد بن حسين الأرجاني بأتفاق أغلب الذين ترجموا له، ولد بأرجان سنة 460 للهجرة[1]، وعرف بنسبة إلى (أرجان) وعمل فيها قاضياً مدة طويلة، وعلى الرغم من ولادته بأرجان من بلاد خوزستان في إقليم فارس، لكنه عربي الأصل[2]، فثم شعراء وعلماء كثيرون ينتسبون ألى بلاد أعجمية من أصول عربية ومثله في النسب شاعران معاصران له هما الأبيوردي والغّزي .

فنحن إذن أمام شاعر عربي من الأنصار في خوزستان لطالما أفتخر بأصلة العربي في مواقف متعددة، وهذه هي فكرة البحث التي أراد أن يوصلها إلى المتلقي التي أراد من خلالها أعلاء الصوت العربي والذات العربية وأثبات وجودهما من خلال

[1] ينظر: وفيان الأعيان، ابن خلكان 152:1.

[2] م.ن: 152:1.

ذلك الفخر،قال[1] :

وتضمنا عربية كرمت أعراقها، ففروعها سُمُقُ

وكان لعائلته فضلاً في ثقافته وعلمه إذ كان صيتهم قد ذاع بالزهد والورع، ولاسيما جده لأمه (أبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبراهيم بن ماسك الأرجاني) الذي كان من المشايخ الذين عرفوا بالزهد والورع ودقائق والحقائق، وكان هذا عامل مهماً من العوامل التي أثرت تلك الثقافات التي أصبحت من مقومات شعر الأرجاني .

فضلاً عن المامه بألوان متعددة من ثقافة عصره، لكن هذه الثقافات المتعددة لم تثقل شعرهُ، كما هي لدى الشعراء عاصروا الأرجاني، ولم يجعل من شعرهِ مصنفات ومؤلفات في فنون المعرفة. كالباخرزي الذي أثقل شعره بالثقافات، والأبيوردي الذي ذهب بعيداً عن ميدان الشعر الى التصنيف والتأليف في فنون المعرفة وكان لصلاته بأعيان الدولتين العباسية والسلجوقية من جهة وأسفاره ورحلاته من جهة أخرى دوراً مهماً في عد شعره وثيقة تاريخية تضاف الى المراجع التي يقف عندها من درس وأرخ لشعره فضلاً عن كون شعره يُعد وثيقة تأريخية شعرية تؤرخ لإحداث العصر، كونه عاصر خمس خلفاء هم (المقتدى بالله ابو قاسم محمد بن عبد الله بن محمد (467 –487) والمستظهر بالله والمسترشد بالله والراشد أبو جعفر منصور بن المسترشد (529– 530) والمقتفي لأمر الله أبو عبد الله محمد أبن المستظهر بالله (530– 555).

وكانت صلته متينه (بالمستظهر والمسترشد) ولا نجد له في الديوان شعر في المقتدى والراشد، أما المقتفى فله قصيدة واحدة، مما يدل على صلته المحدودة بهم[1] وللأرجاني ديوان شعري ضخم، يحتوي أغراض شعرية منها (المديح ،الوصف ، الشكوى ، الحكم ،الأمثال ، الفخر) وهو الشاعر العباسي، الذي أستمد صوره الشعرية ومعانيه من الأحاديث النبوية الشريفة والأنساب فضلاً عن واقع مجتمعهِ وطابع ذلك العصر، وتكوينه النفسي، وثقافته، ويعود ذلك الى ذاكرة الشاعر التي حملت تلك الصلة الحسية بالعالم في مجموعات كثيرة من الصور، وحملت الافكار والمعاني والاخيلة، طابع التراث الذي اطره بإطار يحمل بصمات طابعه الشخصي، فضلاً عن تأثير الثقافة العربية في شعره والتزامه موسيقى الشعر العربي .

[1] ديوان الارجاني: قصيدة رقم 781/ البيت 76.

[1] ينظر ديوان الارجاني 15.

أما معجم الشاعر اللغوي، فنجد تأثره بالقرآن الكريم والحديث النبوي الشريف والفقه والفاظ اهل المنطق والفرق الدينية واهل العلوم الشرعية واضحة في قصائده الشعرية ونتاجه الادبي , ولايقتصر الامر على ذلك فقط بل كان للالفاظ المصرية والالفاظ الشواذ حضورا في نتاجه الادبي والشعري خاصة.

ولم يقف عند حدود قواعد اللغة، (النحوية والصرفية واللغوية , بل تعداها الى الشواذ من اللغة واللهجات النادرة والضرائر ، وهذا ان دل على شيء ، فإنما يدل على تمكنه من اللغة وعلمه الواسع بها.

ومال اسلوب الشاعر الى الاتكاء على الصنعة العربية في تراكيبها , والتعقيد وتكرار المعاني في بعض الابيات الشعرية، ونعتقد ان هذا ليس ضعفا في شعره واسلوبه بل اراد من خلال ذلك توكيد المعنى في ذات المتلقين ويميل الخيال الى الضعف في بعض قصائده.

واما موسيقى شعره فكثيرا ما ينظم على وزن الرباعية التي تعرف بالدوبيت والمربعات الاعتيادية وله قصيدة نظمها لها اربع قواف في البيت الواحد وهو ما يسمى في البديع (التؤام) وهذه محاولات من الشاعر لم تكلل بالنجاح ونلمح في شعره خصائص من شعر أبي تمام والبحتري وأبن الرومي فضلاً عن مايتمتع به الشاعر من شاعرية .

ومذهبه الغني يستند الى جانبين :

الأول : تقليدي وسيره على نهج الأقدمين .

الثاني : بديعي , أبداعي[1]

وهي مسألة طبيعية من خلال معايشته لظروف العصر , وعلاقته بمجتمعه ورجالاته , فضلاً عن معايشته وتأثره بالإحداث التي مرت به الخلافة العباسية أنذاك ، ولاننكر فضله في محاولات التجديد وصنع ثقافة خاصة به ومحاولته النظم وفق موسيقى شعرية جديدة ووسائل أخرى للأداء الفني , ولاننسى أن شعره قد عد حلقة في تأريخ أدب الأمة ووثيقة تأريخية لا غنى لنا عنها .

وأنتقل الى رحمة الله ورضوانه القاضي الأرجاني في ربيع الأول سنة أربع وأربعين وخمس مئة للهجرة , تغمد الله برحمته وغفرانه .

الفخر:

غرض من اغراض الشعر العربي، وهو عبارة عن مجموعة من الابيات الشعرية، يذكر فيها الشاعر صفاته الحسنة، ويُعّد الفخر من أهم اغراض الشعر العربي في العصر الجاهلي، إذ يفخر الشاعربشجاعته وقوته وشرف النسب والكرم والجود ومرتبته الاجتماعية.

[1] ينظر: الديوان 47

لغةً:– فَخَرَ مصدر فَخَرَ – فَخِرَ.

اظهر الفخر: الفضل، العظيمة.

فخر (فعل) فخر – يفخر – فخراً – وفخاراً وفخارة، فهو فاخِر – فخور والمفعول به مفخور به.

فخر بنفسه: يتباهى بنفسه، أي ظهر مكارمه وجاهه، حسبه ونسبه.

وفي معجم تاج العروس:

المباهاة في الاشياء الخارجة عن الانسان، كالمال والحياة، يقال له (فخراً) ورجل فاخر وفخور وفخير على التكثير [1].

وجاء في لسان العرب:

الفخر يدل على التمدح بالصفات الحميدة والاعتزاز بها [1]

الفخر اصطلاحاً:– المباهاة في الاشياء والخارجة عن الانسان، كالمال والجاه، ويقال له (فخراً)، تمدح المرء بخصال نفسه وقومه والتحدث بحسن بلائهم ومكارمهم وكرم عنصرهم ورفعة حسبهم وشهرة شجاعتهم [2].

والفخر هو شعور يعود إلى احترام الذات والثقافة العربية مليئة بالامثلة الدالة على الفخر وهو عبارة عن مجموعة من الابيات الشعرية يذكر الشاعر فيها صفاته الحسنة والفخر يكون بالاهل والقبيلة والشعر ايضاً.

وقد عد كثير من العلماء والنقاد والفخر من المديح، ويرى ابن رشيق: "والافتخار هو المدح نفسه، إلا ان الشاعر يخص نفسه وقومه، وكل ما حسن في المدح، حسن في الافتخار، وكل ما قبح فيه قبح في الافتخار" [3]

ويرى النقاد أن احسن من كتبوا في هذا الغرض عنترة بن شداد وامرؤ القيس في العصر الجاهلي، قال عنترة [4]:

وفي الحرب العوان ولست طفلاً ومن لين المعامع قد سقيت

---

[1] ينظر: معجم تاريخ العروس من جواهر القاموس، محمد بن عبد الرزاق المرتضى الزبيدي، 3:465، ط2.

[1] ينظر: لسان العرب، ابن منظور (مادة فخر).

[2] ينظر، جواهر الأدب، احمد الهاشمي،18.

[3] العمدة، ابن رشيق، 2:134.

[4] ديوان عنترة بن شداد، تحقيق فوزي عطوي 35.

وارادبالعوان (الشديدة) والمعامع (المعارك) واراد بهذا البيت مدى شدة وقوة وعناء طفولته، ويقسم النقاد الفخر إلى قسمين:

أولاً:– الافتخار بالذات من خلال استعمال ضمير المتكلم المفرد (الانا) وهذا نراه قليل في العصر الجاهلي لكننا نراه يزداد اتساعاً في العصور التي تلت العصر الجاهلي ولاسيما في العصر العباسي موضوع بحثنا هذا.

ثانياً:– الافتخار بالقبيلة من خلال استعمال ضمير المتكلم الجمع (نحن).

مثال ذلك، قول عمرو بن كلثوم التغلبي [1]:–

مَتَى نَنْقُلْ إِلَى قَوْمٍ رَحَانَـا يَكُوْنُوا فِي اللِّقَاءِ لَهَا طَحِيْنَا
يَكُوْنُ ثِقَالُهَا شَرْقِيَّ نَجْدٍ وَلُهْوَتُهَا قُضَاعَةَ أَجْمَعِيْنَـا
نَزَلْتُـمْ مَنْزِلَ الأَضْيَافِ مِنَّا فَأَعْجَلْنَا القِرَى أَنْ تَشْتِمُوْنَا
قَرَيْنَاكُمْ فَعَجَّلْنَا قِرَاكُـمْ قُبَيْلَ الصُّبْحِ مِرْدَاةً طَحُوْنَا
أَلاَ يَعْلَمُ الأَقْوَامُ أَنَّ تَضَعْضَعَ نَـا وَأَنَّا قَدْ وَفِيْـنَا

وهناك شعراء في العصر الجاهلي افتخروا بمعاصرتهم للخمرة كقول طرفة بن العبد، يقول:– [2]

وما زال تشرابي الخمور ولذتي وبيعي وإنفاقي طريفي ومقلد

وفي صدر الإسلام كان الفخر يدور حول اوصاف الرسول (صلى الله عليه وسلم) ومكارمه.

والفخر هو شعور يعود إلى احترام الذات والثقافة العربية مليئة بالأمثلة الدالة على الفخر وخير دليل على ذلك استمراره عبر العصور الأدبية، ومن الشعراء الذين اشتهروا بالفخر في العصر الاموي (الفرزدق) إذ يذكر الشاعر فيها صفاته الحسنة من خلال الفخر بالإهل كقوله [3]:

---

[1] كتاب شرح المعلقات السبع ،أبي عبد الله الزوزني معلقة عمرو بن كلثوم التغلبي.

[2] ديوان طرفة بن العبد تحقيق كرم البستاني 30.

[3] ديوان الفرزدق تحقيق كرم البستاني 56.

وَمِنّا رَسولُ اللَهِ حَقّاً وَلَم يَزَل لَنا بَطنُ بَطحاوَي مِننَ وقيامها
وَإِنَّ لَـنـا نَجداً وَغَورَ تِهامَة نَسوقُ جِبالَ العِزِّ شُمّاً وهِضابُها

وقوله [4]:

أولَئِكَ آبَائي، فَجِئْني بمِثْلِهِـمْ إذا جَمَعَتْنا يا جَرِيرُ المَجَامِعُ
فَيا عَجَبي حَتّى كُلَيْبٌ تَسُبّنـي كأنّ أباها نَهْشَلٌ أوْ مُجَاشَـعُ
إنّ الذي سَمَكَ السّماءَ بَنى لَنَا بَـيتاً، دَعَائِـمُهُ أعزُّ وَأطوَلُ
أحْلامُنَا تَـزِنُ الجِـبَالَ رَزَانَةً وَتَخَالُـنَا جِنّاً، إذا مَا نَجْهَل

اذا كان للفرزدق باع في الهجاء وفي الفخر بنفسه وفي الوقت نفسه لاسيما في الشعر الذي قاله في جرير.
أما في العصر العباسي فأبرز الشعراء الذين اشتهروا بالفخر مروان بن ابي حفصة، وابن المعتز والمتنبي ، وأبو فراس الحمداني، وأبو العلاء المعري، والشريف الرضي وكثير من الشعراء الذين تضمنت قصائدهم فخراً أو افردوا لها قصائد منفردة.

الفخر في العصر العباسي:

احتل الفخر في العصر العباسي مساحة لا بأس بها واتجه اتجاهاً ذاتياً محضاً وهو من الأغراض التي توسعت في هذا العصر، إذ نجد قصائد كاملة في الفخر او مقطعات شعرية في الفخر ولكن في الغالب تكون ضمن القصائد، ونرى الاتجاه الذاتي واضحاً في تلك القصائد الشعرية الفخرية ولاسيما العصر الوسيط الذي كان بأمس الحاجة لان يستحضر الماضي عبر الحاضر ويمثل شاعرنا القاضي الأرجاني ذلك خير تمثيل الفخر بالذات:
قال[1] مفتخراً:-

أنا أشعر الفقهاء غير مدافع في العصر، أو أنا أفقه الشعراء
شعري اذا ما قلتُ، يرويه الورى بالطبع لا بتكلف الإلقاء
كالصوت في ظللُ الجبال، اذا علا للسمع هاج تجاوب الاصداء

[4] المصدر نفسه 85.

[1] ديوان الارجاني (43 – 44).

ويرى ابن رشيق ان هذا الفخر من المديح "والافتخار هو المدح نفسه إلا ان الشاعر يخص نفسه وقومه وكل ما حسن في المدح حسن في الافتخار، وكل ما قبح منه قبح في الافتخار"[2]

وتظهر (الانا) واضحة جلية من خلال تكرارها في البيت الأول مرتين (أنا أشعر) (أنا أفقه) وجاءت الانا الأولى خاصة للشعر والأنا الثانية قد استخدم (أنا أفقه الشعراء) (الانا الفقهية والانا الشعرية) إذ جاءت الفقهية مجازاً في مجال الشعر، ونحن نعلم جيداً هو فقيه قاضي إذ دمج الشعر مع الفقه وهو تمثيل حقيقي لذات الشاعر وهذا ما سماه الدكتور هدارة بـ (التعبير عن الذات)[3] أي العكوف على النفس وتحليلها، اذ كان الشاعر العباسي ينظر الى كل شيء من خلال ذاته، ولا يكتفي بالظاهر من الأمور بل يغور في أعماق النفوس، في البيت الثاني نجد الأنا مستترة من خلال لفظة (شعري) وتخاطب الأخر باستعلاء وشموخ، فهذا الشعر رواته كثر (الورى) أي الخلق جميعاً وهذه اللفظة من المعجم الفقهي دلالة على ثقافة الشاعر الفقهية (محمد صل الله عليه وسلم) خير الورى، (بالطبع لا بتكلف الالفاظ) وهذه إشارة واضحة الى ان العرب هم اهل الشعر ورواته فمن خلال الانا وكبريائها أتى الى الفخر بالعرب إذ يعد الشعر هو ديوان العرب، فمدح الأنا جاء لمدح (الآخر) قومه وأهله وتاريخه المجيد.

فهو لا يتكلفون الالقاء ولكن طبعوا على ذلك وكانت (الانا) جزء من (الأخر).

فهذا الصوت المدوي (الشعر) إذا ما قيل او روي كأنه الصدى، لكن أي صدى ذلك الصدى الذي يصفه بالهيجان نتيجة الاصداء التي تتجاوب فيما بينها وهذا التجاوب ناتج عن لفظة (هاج) التي في معناها دالة على الاثارة والغضب والحركة والاستفزاز، فهذا الصوت المدوي لا بد له من هذا المعنى لكي يتلاءم ومعنى البيت وما أراده الشاعر من قوة شعره وان القصيدة العربية لا زالت بخير ولا زال الحرف العربي مدوياً عالٍ في الافاق، وفي موضع أخر، قال[1]:

ولا أُنسَ إلاّ بالذي إنْ نظَمتُه ... تَهاداهُ دانٍ في البلادِ وناء

جلا الفِكرُ منّي كل بِكْرٍ أَقوله ... وليس لنُقْبِ* الشِّعرِ مثْلُ هِنائي

وإنّي لأُعْطي الشِّعْرَ أَوْفى حقوقِه ... وإن لم يَقِفْ بي مَوقِفَ الشُّعراء

---

[2] المعمدة، ابن رشيق القيرواني 143:2.

[3] اتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني، د. مصطفى هدارة (174)

[1] ديوان الأرجاني (49 – 50)

* لنُقبْ: الجرب

ومنّي اقتباسُ المُحَدثينَ معانياً ولم أقتبِسْ معنىً من القُدَماء
عضْلتُ ابنةَ الفِكْرِ المصونةَ خَوْفَ أن تُزَفَّ إلى مَن ليس كُفْؤَ ثَنائي

كان القرن الرابع يموج بالشعراء ولكنهم كانوا أقل اصالة وابتكار ممن سبقوهم من شعراء العصر العباسي باستثناء عدد من الشعراء، فهذا العصر اثرت فيه عوامل خارجية وداخلية، لذلك نجد ان الشاعر العربي كان يمثل هويته العربية بعد ان كثروا شعراء اللغات الأخرى، فالشاعر في هذا الزمان ليس شاعر فحسب بل بصمة راسخة في عالم النظم والابداع الشعري، ويعود الى الاعتداد بنفسه وبشعره فهو يقول كل لفظة (بكر) أي اللفظة التي لم يتقدمها مثلها فضلاً عن اللفظة القوية التي لم تمتزج باللغات الاخرى التي لا زالت تحتفظ بعروبتها، وقد اعطى الشعر حقه، وان الشعر لم يعطه حقه من الشهرة والمال، والشعراء المحدثين هم الذين يقتبسون منه المعاني، لكن اتى بالجديد من المعنى واللفظ ولم يأخذ معنى من القديم وهذه مسألة طبيعية فأحيان كثيرة لم تعد المعاني تتناسب مع الغرض او الزمان المعاش، ويأتي للبيت الأخير بلفظة (عضلت) بمعنى، منعت او ضيق عليها وحال بينها وبين ما يريد ويرغب والمقصود (ابنة الفكر) الفكرة المنسوبة اليه او الى المجموعة والمقصود هنا مجال شعره قد ضاق وانحسر خوفاً من ان يقال في مجالات لا يفهم معنى هذا الشعر وقيمته الفكرية، فهو إشارة واضحة الى من ساد البلاد من الحكام وجنسياتهم الاجنبية واختلاط الثقافات فهو يضيق ويحسرها في مجالات واضحة خوفاً عليها من ان لا تجد من لا يقيمها وشبهها بالبنت البكر التي يخاف ان تزف الى رجل ليس كفوء لها، لتقرب المعنى من ذهن المتلقي.

ثانياً:– الفخر (بالانتماء والنسب)

وقال [1]:

حن سبقنا الأعجمين بملكها وما كان منهم للبلاد وثوب
بدأنا وعُدنا فانتزعناه ثانياً فللملكِ فينا سابق وجنيب
ملوك من العرب الكرام، اذا انتموا تبلج منهم مالكِ وعريب
وما في بني ماء السماء اشابه تُعَدُّ، وهل ماء السماء مشوب
فلاحظ غداة الافتخار نصابنا امن مثله للأعجمين نصيب
هم عمروا الدنيا، ولا دين عندهم زماناً، واهمال الديانة حوب

[1] ديوان الأرجاني 137

ونحن عمرنا الدين اول ما بدا ولم تك دُنيا للرجال خلـوب

واذا زمن ما منها فيه عامر فصبراً وغيري– يا أميم كلوب

يفخر الارجاني بنفسه ويكرم قومه وتوارث السيادة والقوة من خلال تسخير الوقائع الدينية والتأريخية وأسماء الاعلام ليحقق لنفسه قوة الأصرة التي تربطهم به فيأتي الى ذكر تاريخ المسلمين ووقائعهم من خلال مقابلته مع بناء كسرى ثم يأتي الى ذكر (ماء السماء) في الشطر الأول واراد بها، ماويه بنت جشم وقيل ماوية بنت ربيعة التغلبي، تلك الاميرة الجاهلية التي كانت ملكة العراق ومن سلالتها ملوك المناذرة في الحيرة وقد كانت في ذلك الوقت فخراً للعرب لما انجبته من ملوك احدهم هو المنذر بن امرئ القيس، زوجها امرؤ القيس بن النعمان، ولقبت بماء السماء لانها كانت غاية في الجمال والجلال [1] فالرجال امتداد لأبأهم ورجال قومهم ثم يستخدم أسلوب المقابلة بالشطر الثاني ويأتي بـ (ماء السماء) ويقصد به المطر الذي يأتي على الأرض بالخير والبركة الذي لا شائبة فيه بصيغة الاستفهام، لتوكيد معنى الاصالة والاصل الطيب في ذهن المتلقي ويفتخر الأرجاني من خلال ضمير الجمع (نحن) ليؤكد شمول الدلالة ويعزز جانب المفاضلة من خلال قومه (نحن عمرنا) (نحن بيننا) والمقصود بالعمران جعلها أطول عمراً وعامرة بأهلها والمراد في هذه البيت اصلاحهم للديانة وتقويمها من خلال الدين الإسلامي والرسول (صل الله عليه وسلم) ولم يكن (خلوب) اي كذب ولا خداع مكان فيها وهو مؤنث وجاء بها لتتلاءم مع لفظة (الدنيا)، ثم يأتي الى وصف الزمان وكيف تكالب فيه الناس أي اشتد حرصهم على الدنيا وتواثبوا واشتد طمعهم فيه، إذ ذكر الماضي الذي أراد به الحاضر في الوقت نفسه، ويذكر مفتخراً الوقائع التي دارت بينهم وكيف ان العرب استعادوا مجدهم ونهضوا (وثوب) وهو فاعل من (وثب) واراد به وصولهم وبلوغهم امجادهم بعد أن سيطر عليها كسرى، ثم يتساءل من خلال الفاء الرابطة، (أمن مثله للأعجمين نصيب)، يعني هذا الفخر من نصيب اقوامنا واباءنا واجدادنا، فهل لكم مثل مجدنا وتاريخيا، وهل لديكم من هذا الفخر نصيب، فكيف لنا الاعتقاد ان الإرجاني شاعر غير عربي، وهذا فخره بقومه ونسبه ومكارم الإسلام.

وقال مخاطباً الآخر (الذات):[1]

يا وارث البُرد المجرر ذيله في ليلة المعراج فوق الفرقد

ومُعوداً يَدَهُ التخصر بالذي أمس مطيع من البُراق به حُدي سَليَا هُدّ، عَبَقُ النبوة فيهما من كف خير الأنبياء مُحمدَ

[1] ينظر: معجم اعلام النساء (PDF) 158، محمد التونجي.

[1] ديوان (351- 352).

فاذا ادرعْتَ بذاك ثم هززت ذا قطْعتَ جانحة القويّ الملُحِد
فافخر، فأي مدجج، من عصمة أصبحت في حرب الزمان الأنكد
أبني شفيع القطر صنو ابي شف يع الحشر: لازلتم عمادَ السؤدد
مـن أهل بيـت شفاعتين أعدتا لليوم واحدةُ، وأخرى للغد
هذا ابن عمكم الذي أضحت له فُراجُ الانامل منهلا للورد
وكذا كليم الله، ضربةُ كفه بعصاه شقت أعينا في الجلمد
وابوكُمُ رفع اليدين بدعوةٍ فجرى لها الوادي بسيلٍ فُريدِ
فتناسب الغاياتُ من ابائهم كل غدا ماء يُصوبُ من يد
يا ماجداً قرن الكمالَ بمجده كرمَ التُقى بكريم ذاك المحتدِ
المُلك قد اضحى حمى لكِ فارعه والأرض عادت جنة بك فاخلد

نلحظ في هذه القصيدة ان الفخر لم يك ذاتياً محضاً بل جاء فخر الشاعر بالجماعة (الفخر الاجتماعي) الذي امتزج بالحماسة التي تراها واضحة في هذه القصيدة التي ضمنها الشاعر وقائع ليلة الاسرء والمعراج من خلال استحضارها لترسم مثلاً عليا في المجتمع الذي ساد فيه الذل والخضوع ويجعل تلك الواقعة باعثاً لتحريك الهمم وعودة تلك الصورة للمجتمع الاسلامي، وذكر عدد من الشخصيات التي تنتمي بالقرابة الى الرسول (ص) مثل (شفيع القطر) وهو العباس بن عبد المطلب، لان عمر (رضي) استقى به و (صفوا ابن شفيع الحشر) عبد الله ابو الرسول (ص) وهو شفيع الحشر وجاء الى ذكر النبي موسى (ع) مضمناً معنى قوله تعالى (واذ استسقى موسى لقومه فقلنا: اضرب بعصاك الحجر فانفجرت منه اثنتا عشر عيناً) [1]، ونجد في هذه القصيدة منهجاً يماثل منهج الشعراء في عصر ما قبل الاسلام وساروا على مبادئهم بالفخر بالنفس والعشيرة والاشادة بالمآثر والامجاد، ظل باب الفخر مفتوحاً امام الشعراء [2] وفي ختام القصيدة ينادي (المسترشد بالله) * ويقول له انك قرين المجد والكمال والتقت بك كل صفات الكمال فلا تدع ذلك الملك بل كن خير حام وراع لتلك الجنة لكي تخلد بأعمالك.

[1] سورة البقرة، الآية 60، وينظر: سورة الاعراف، الأية 160.

[2] ينظر: النقد الادبي الحديث، محمد غنيمي هلال، 192.

* المسترشد بالله خليفة عباسي وجهت له القصيدة

اذن جاءت القصيدة التي تضمنت هذه الوقفة الفخرية رسالة لاستشعار اهمية الملك والخلافة ومراعاة الحفاظ عليها اذ لم يكن الفخر سوى حامل لمبادئ اراد الشاعر ان يوصلها من خلال اولئك القمم الذين حملوا الاسلام على اكتافهم وفي موضع آخر قال[3]:-

أما نحن من املاك عَمْر وبن عامر بنو معشر بيض الوجود مصالت

واراد بهم عمرو بن عامر بن زيقياء، خرج من اليمن في ولده وقرابته ومن تبعه من الازد فصار قوم منه الى يثرب وهو الاوس والخزرج، وقوم الى الشام، وهم آل جفنة واراد (المصالت) مجازاً الاصول الناصعة البياض الواضحة:

وقوله أيضاً [1]:

فروعُ سمت من جذم بنت بن مالك سموا على حدث الاصول نوابت
فأحياؤهم يفنون طاغيت العدا وامواتهم يحيون ولد المقالت

إذ ان توظيف التضاد اعطى للبيت قوة جمالية فضلاً عن قوته البلاغية فأحيأهم يبيدون ويفنون (الطواغيت) أي الشياطين الذين يصرفون الناس عن الخير ويطلق على كل طغيان على الله سبحانه وتعالى، مقابل امواتهم الذي لا حياة لهم لكن يعطون الحياة لولد الناقة الميت دلالة على خلود ذكرهم في الحياة والممات.

وقوله [2]:

وما أنا إلا كالمدام لصاحبي يزيد على طول الجفاء صفاء

اراد بهذا البيت صفة (الوفاء) التي تميز العربي فهو نقي مهما طال الزمن موظفاً اسلوب القصر والحصر الذي جاء متناسقاً ومعنى البيت واسلوب الشاعر.

النتائج التي توصل إليها البحث

1-يُعّد شعر الإرجاني في الفخر وثيقة تأريخية تضاف إلى المراجع في مرحلة الدولة السلجوقية التي لا غنى عنها.

---

[3] الديوان 238

[1] ديوان الأرجاني239.

[2] م.ن 129.

2-عبر عن (الذات) في فخره الذي اتكأ فيه على التراث، واختلف عنه في الصياغة وسماه (ابن رشيق) بالفخر الحلال غير المدعي فيه ولا المنتحل لان الشاعر يلتزم فيه جانب الصدق فيكون تعبيره كما صدر عنه او عن قومه من مآثر او فضائل وهذا ما ميز الفخر في الشعر العباسي الذي ضعف الفخر القبلي وانتشر الفخر (الذاتي) بشعر الشاعر.

3-سمة تفاعله مع ثقافة عصره، مما كان له أثراً واضحاً في وفرة شعره وموضوعاته وسماته الفنية ولاسيما الفخر.

4-يُعّد شعره حلقة في تأريخ اداب الأمة.

5-جزالة اللفظ وغلبة الطابع البدوي على لغته واسلوبه.

6-مزج الفخر بالحماسة في قصائده.

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم
- اتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني للهجرة، د. مصطفى هدارة، ط3، دار المعارف القاهرة / 1977
- جواهر الادب، احمد الهاشمي، المكتبة التجارية الكبرى، العراق/ 1961.
- ديوان الارجاني، تحقيق د. محمد قاسم مصطفى، مطبعة جامعة الموصل/ 1988.
- ديوان الفرزدق، تحقيق كرم البستاني، دار صادر، بيروت/ 1960.
- طرفة بن العبد، تحقيق كرم البستاني، مكتبة صادرة، بيروت/ 1953.
- ألعمدة، ابن رشيق القيروان، ط5، دار الجيل، بيروت/ 1981.
- عنترة بن شداد، تحقيق فوزي عطوي، ط1، الشركة اللبنانية للكتاب، بيروت/ 1968.
- كتاب شرح المعلقات السبع، ابي عبد الله الزوزني، لجنة التحقيق في الدار العالمية، مصر/ د.ت.
- لسان العرب، ابن منظور، دار صادر، بيروت/ 1955.
- معجم أعلام النساء (PDF) محمد التويجي، دار العلم للملايين، بيروت.
- معجم تاريخ العروس من جواهر القاموس، محمد بن عبد المرتضى الزيدي، ط2، مطبعة الخيرية، مصر/ 1988.
- النبراس في تاريخ بني العباس، ابن دحية تحقيق عباس العزاوي، بغداد/ 1946.
- وفيات الاعيان، ابن خلكان، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة القاهرة/ 1948.